

أقم دخنوا محال الاجتماع مستلدين على لزوم حقيقي أمر أو إذن رسمي يضطرون إلى إبرازه ويكون صادراً إليهم من ناظر الضابطة في الأستانة ومن أكبر مأمور منكي أو وكيه في الولايات.

المادة التاسعة عشرة_عنى ناظري الداخلية والعدلية تنفيذ هذا القانون.

في ٢٩ رجب سنة ١٣٢٧ أو في ٣١ آب سنة ١٣٢٥.

سير العنم والاجتماع

سعة التأليف ومؤلفو الشيعة

كُتبت رصيفتنا العرفان تنمة لما كتبناه في الجزء الأول من المقتبس الخامس في سعة التأليف في الإسلام ذوكرت الكثيرين من التأليف عند الشيعة فقالت: لم نجد بين رجال القرن الأول من له ثلاثون مصنفاً لعدم انتشار التأليف آنئذ وغلبة الأمة ويكفي بأن ثبت للشيعة مؤلفين على حين أنه لم يكن لغيرهم تأليف في ذلك القرن فقد ألف أمير المؤمنين عني عليه السلام صحيفة في الديات وألف سلمان الفارسي وأبو ذر القفاري في الأخبار والسير وألف أبو الأسود الدؤلي في النحو الأدب وألف كثيرون غيرهم ممن يطول الشرح في تعدادهم.

ومن المؤلفين الكثيرين من رجال الشيعة في القرن الثاني لوط بن يحيى أو مخنف المؤرخ المشهور الذي يروي عنه الطبري وغيره من المؤرخين قال النجاشي له كتب كثيرة وعد منها نحو ثلاثين كتاباً عنها في التاريخ والسير.

وهشام بن الحكم عدد له النجاشي نحو ثلاثين كتاباً أكثر في الكلام والفلسفة الإلهية.

ومن رجال الشيعة في القرن الثالث إبراهيم بن محمد الثقفي قال النجاشي له كتب كثيرة والتي اتصل بنا منها ثم عددها نحو أربعين كتاباً.

والحسن بن موسى أبو محمد النوبختي قال النجاشي له على الأوائيل؟ كتب كثيرة منها كتاب الآراء والديانات وحجج طبيعة مستخرجة من كتب أرسطاطاليس في الرد على من زعم أن الفلك حي ناطق وكتاب في المرايا وجهة الرؤية فيها وعدد له نحو أربعين كتاباً.

وسعد بن عبد الله أبو القاسم القني عدد له ما ينيف عن ثلاثين كتاباً.

وعبد العزيز بن يحيى الجنودي ذكر النجاشي كتبه في أربع صفحات وقد بلغت مائة وأربعة وثمانين كتاباً في جنة فنون وأغلبها تاريخ وأخبار وفقه.

وعلي بن محمد العدوي الشمشاطي كقال النجاشي له كتب كثيرة عدد منها ما يقرب من أربعين كتاباً ومما بلغت النظر منها كتب الأنوار والشار قال النجاشي قال سلامة بن دكا أن هذا الكتاب ألفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ما قيل في الأنوار والشار من الشعر وكتاب الزه والابتهاج قال قال لي سلامة بن دكا أنه نحو ألفان وخمسمائة ورقة يذكر فيه آداباً وأخباراً ومن جنة كتبه مختصر تاريخ الطبري وأغلب كتبه ضخمة.

والفضل بن شاذان أبو محمد الأزدي النيسابوري قال النجاشي: ذكر الكحي أنه صنف مائة وثمانين كتاباً وقع إلينا منها وعدد نحو خمسين كتاباً.

ومحمد بن اروم أبو جعفر القني قال النجاشي: ذكر القيون وغزوا عليه ورموه بالغزو حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه وقد عدد له نحو ثلاثين كتاباً ومن العجيب أن بينها كتاباً في الرد على الغلاة وكل كتبه دينية.

ومحمد بن جعفر بن أحمد بن بطة المؤدب أبو جعفر القسي قال النجاشي: كبير المترلة بقم كثير الأدب والفضل والعلم يتساهل في الحديث ويعلق الأسانيد بالإجازات وفي فهرست ما رواه غلط كثير وقد عدد له أكثر من خمسين كتاباً أكثر كتبه مساة بأسماء الأعداد فله كتاب الواحد والاثني إلى التسعة والأربعين.

ومحمد بن أحمد أبو الفضل الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني عدد له النجاشي نحو سبعين كتاباً وقد كان زيدياً فصار اثني عشرياً.

وهشام بن محمد السائب قال النجاشي: كان له كتب كثيرة وعدد له منها خمسين كتاباً في الأنساب والتاريخ والسير.

ويونس بن عبد الرحمن قال النجاشي: وكانت له تصانيف كثيرة وعدد منها أكثر من ثلاثين كتاباً.

ومن رجال الشيعة المشهورين في سعة التأليف في القرن الرابع أحمد بن محمد بن دول القسي قال النجاشي: له مائة كتاب وعدد منها جانباً.

وعلي بن أحمد أبو القاسم قال النجاشي: كان يقول بأنه من آل أبي طالب وغلا في آخر أمره وفسد مذهبه وصنف كتباً كثيرة أكثرها على الفساد وقد عدد له نحو خمسين كتاباً أغلبه ردود وبها رد على أرسطاطاليس وكتاب في تفسير القرآن وكتاب في النفس.

ومحمد بن يعقوب الكليني عدد له النجاشي أربعين كتاباً وقال: صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني يشي الكافي في عشرين سنة ومات سنة ٣٢٩ سنة تناثر النجوم.

ومحمد بن أحمد بن الجنيد المكاتب أبو علي الإسكافي عدد له النجاشي ما يقرب على مائة وثمانين كتاباً كلها دينية فقه وسير وكلام.

ومحمد بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق عدد له النجاشي نحو مائة كتاب.
وموسى بن الحسن أبو الحسن الأشعري القمي قال النجاشي: صنف ثلاثين كتاباً عدد
منها اثني عشر كتاباً.

ومن المؤلفين في هذا القرن إسماعيل صاحب بن عباد وأبو الفرج الأصفهاني صاحب
كتاب الأغاني وهما وإن لم تبلغ تأليف كل منهما الثلاثين فإنها تناهز العشرين فضلاً عن
تعدد مجلداتها وغزير فائدتها.

ومن المكثرين من التأليف في القرن الخامس علي بن الحسين أبو القاسم السيد المرتضى
الشهر فقد عدد له النجاشي أربعين كتاباً ويقال بأن له ثمانين كتاباً وهو صاحب أمالي
المرتضى الذي طبع في مصر.

ومحمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد عدد له النجاشي نحو مائة وستين كتاباً.
أما في القرن السادس فيوجد من الشيعة عدة مؤلفين بيد أقوم غير مكثرين.

ومن المكثرين من التأليف في القرن السابع السيد أحمد بن طاووس قال في الروضات
وصنف اثنين وثمانين كتاباً في فنون من العلم وعد منها دليلاً صالحاً.

والحسن بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة عدد له صاحب الروضات سبعين مصنفاً
ورأيت على الحواشي بعض مصنفاته بأن له ثلاثمائة مصنف.

والسيد علي بن طاووس عدد له صاحب الروضات نقلاً عن كتب كثيرة أكثر من ثلاثين
مصنفاً كل كتاب منها عدة مجلدات.

ومحمد الخواجة نصير الدين الطوسي الحكيم المعروف عدد له صاحب الروضات نحو
ثلاثين كتاباً في فنون مختلفة.

ومن الكثيرين من التأليف في القرن الثامن محمد بن معية النسابة وهو وإن لم يتجاوز ما عدد له صاحب الروضات خمسة عشر كتاباً فهي تبلغ الستين مجلداً منها كتاب أخبار الأمم فإنه قال صاحب الروضات خرج منه أحد وعشرون مجلداً وكان يقدر إتمامه في مائة مجلد كل مجلد أربع مائة ورقة.

ومحمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول فهو وإن لم يذكر صاحب أمل الآمل إلا نحو خمسة عشر كتاباً فمن المشهور أن له تأليف همة في فنون مختلفة جزيئة الفائدة. ومحمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي صاحب كتاب لسان العرب المعجم المعروف له كتب كثيرة ويقال أن مختصراته خمسمائة مجلد.

أما في القرن التاسع فلم نثر على مؤلفين كثيرين بين رجال الشيعة وإن كان يوجد بينهم عدة مؤلفين مقنين.

ومن اشتهر في القرن العاشر بكثرة التأليف زيد الدين الشهيد الثاني العاملي ثم الجعفي عدد له تليذه العودي من المؤلفات المتوعة ما ينيف عن ستين مؤلفاً. ومن

أكثر في التأليف في القرن الحادي عشر سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي عدد له صاحب الروضات نحو أربعين مصنفاً وبها الكتب التي وقعت في عشر مجلدات.

وصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي المشتهر بالملأ صدرا عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً أكثرها في الحكمة الإلهية.

ومحمد بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بالشيخ الحر العاملي صاحب كتاب الوسائل في الحديث وأمل الآمل ففي علماء جبل عامل في التراجم وقد ترجم نفسه به وعدد مصنفاته كما نقله صاحب الروضات فإذا هي تنيف عن أربعين كتاباً ورسالة.

ومن المؤلفين المكثرين في القرن الثاني عشر إسماعيل المازندراني قال صاحب الروضات بعد أن عدد له أربعة عشر كتاباً ورسالة إلى غير ذلك من السائل والمؤلفات الكثيرة التي تبلغ نحو مائة وخمسين مؤلفاً متيناً في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف.

ومحمد باقر المشهور بالنجاسي عدد له صاحب الروضات نحو خمسين مؤلفاً عربياً وخمسين مؤلفاً فارسياً وبعد الفراغ من تعدادها قال: وعدد أبيات جميع ما ذكر من العربي والفارسي ألف ألف بيت واثنين وأربعين ألف بيت ومبعدة وإذا وزعت على أيام عمره التي هي ثلث وسبعون سنة من غير زيادة ولا نقصان يكون قسمة كل سنة تسعة عشر ألف بيت ومائتين وخمسة عشر بيتاً وخمسة عشر حرفاً وهكذا بالترتيب اهـ
والسيد خلف عدد له صاحب الروضات نقلاً عن أمل الآمل وغيره من كتب التراجم نحو ثلاثين مؤلفاً.

وسليمان البحراني عدد له صاحب الروضات أكثر من خمسين مؤلفاً أكثرها رسائل. وعبد الله بن جمعة السماهيجي البحراني عدد له صاحب الروضات نقلاً عن بعض إجازاته أكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة.

والسيد هاشم البحراني عدد له صاحب الروضات أكثر من ثلاثين كتاباً وفيها المجلدات الضخمة.

ومن المكثرين في التأليف في القرن الثالث عشر من الشيعة الشيخ أحمد الإحساني فقد قال صاحب الروضات بعد ما عدد له ثلاثين مؤلفاً إلى تمام مائة رسالة وكتاب. ومحمد الباقر البهبهاني قال صاحب الروضات نقلاً عن صاحب المنتهى له ستون مؤلفاً ثم عدد أكثرها.

وملا جعفر الاستربادي عدد له صاحب الروضات نحو أربعين مؤلفاً في علوم مختلفة أكثرها مجندات ضخمة.

وأبو القاسم الميرزا القمي صاحب كتاب القوانين في الأصول عدد له صاحب الروضات عد كتب كنها مجندات ضخمة وقال وجد بخطه ما يؤدي بأنه كتب ألف رسالة في مسائل مخصوصة من العلوم.

ومحمد بن عبد النبي المعروف بميرزا محمد الأخباري نقل صاحب الروضات بأنه كتب كتاباً في الرجال ترجم به نفسه وعدد مؤلفاته وهي ثمانون مؤلفاً في فنون عقلية ونقلية وشهودية وجلها أو كلها مجندات كبيرة ومنها ما وقع في عدة مجندات اهـ.

مدرسة الاستقلال

ذكرت مجلة العلم الاجتماعي أن مدرسة دي روش في فرنسا احتفلت بمرور عشر سنين على تأسيسها فذكر رئيسها في هذه المناسبة ما قامت به المدرسة منذ إنشائها في تربية العقول ونزع حب الاتكال من النفوس وتحبيب الاستقلال إليها قال أن هذه المدرسة أنشأها أديمون ديمولانس (صاحب كتاب سر تقدم الإنكليز والمكسونيين) وغرضها أن تقصد إلى القضاء على الأساليب والعادات المتبعة في المدارس الداخلية الفرنسية فهي تعاكس الظلم الناشئ من التدريب المبالغ فيه وتقاوم إتهاك القوى في عامة أشكاله وطريقة

اتباع الخطط في الدروس ورخاوة التربية الطبيعية وقنة كفاية التربية الصحية وفقدان التربية العنيفة ونزع الأساليب المتبعة في تربية الأخلاق وتلقين الأديان.

وقد ذكرت اللجنة أن غاية ما توخته هذه المدرسة أن توفق بين النمو العقلي في الطفل وعيت أن تبين للأولاد لماذا يعملون الشيء الفلاني وإن تشوقهم إلى تعلمه لحل المسألة الفلانية بحيث يهتمون بنتائجها وكان ممن تخرجوا في تلك المدرسة منذ سنة ١٩٠٥ أن تقدموا للمسابقة فأحرز قصب السبق منهم ٥٦ من ٦٧ وأبانوا عن كفاءة مدهشة في المواد التي لا تسألهم عنها المدارس مثل الرياضات البدنية واللغات الحية والموسيقى والمعنومات العنيفة وتربية الأخلاق. وأحسن ثمرات التعليم الاستقلالي أنه لم يعد إلى البطالة فرد من المتخرجين على أسنوبه بل أتم ٢٦ منهم دخنوا في التجارة والصرافة وكثيرون قصدوا البلاد الخارجية وثلاثة دخنوا المدارس التجارية و ١١ في الصناعة وقلما يرغب تلامذة هذه المدرسة في التوظيف والأعمال الحرة بل يختارون الصناعات العنيفة الحرة فلم يدخل منهم حتى الآن سوى واحد في معنعان السياسة وواحد أثر التوظيف.

مؤتمر العناصر

ومن أول مظاهر الإخاء بين البشر المؤتمر الذي سيعقد في لندرا في شهر تموز ١٩١١ فهو أول مؤتمر عام للعناصر يساعد على تبادل الاحترام بين عناصر الشرق والغرب وستلى فيه مفكرات غريبة يتنوها أناس من أرقى الرجال من أهل العالمين القديم والحديث ويكون بينهم خمسة وعشرون رئيساً في مجالس النواب وأربعون أسقفاً ومئة وثلاثون أستاذاً في الحقوق الدولية وغير ذلك سيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في مستقبل العناصر البيضاء وغيرها.

استعمار الإسلام

قالت مجلة الاقتصاد الدولية إننا قد أيقظنا اليابان والصين من سباتهما وها قد أصبحنا ولاسيما الأميركان منا نعض الأنامل ندماً على ما قدمناه بين يدي تينك الأمتين وقد أخذ المسلمون ينهضون ويتبهون أيضاً بحسب رأي المسير لشتاتليه (المقتبس م ٥ ص ٢٧٦) كما يفهم من الأرقام التي أتى بها للدلالة على انتباه المسلمين قال أن الصحف الإسلامية تكون الرأي العام الإسلامي على أن تكون منافع الجمارك والأراضي والغابات والمعادن والنقل والاحتكارات والامتيازات وكل ثمرات الأرض إسلامية خاصة بالمسلمين يقول لسان حاملها الإسلام للمسلمين وقد علقت ائجلة على ما تقدم بهذه الجئلة الغريبة وهاكها بنصها معربة:

إننا نعد أنفسنا سعداء إذا اكتفى المؤمنون بهذا ولم يأتوا فيستعصرونا على الطريقة التي عمدنا إليها معهم.

ضعاف المدارك

نقدت مجلة الاقتصاديين الباريزية عن إحدى المجلات الإنكليزية مبحثاً لأحد أطباء إنكلترا جاء فيه أن بين عامة الناس والبلد الثابتة بلامتهم في بريطانيا العظيمة طبقة كبرى ضعيفة في مداركها وهي عالة على أسرها والمجتمع وعددها لا يقل عن خمسين ألفاً قال أن ضعف العقل أرثي وأصحابه يشتد غرامهم ويكثر أولادهم على حين يقل أولاد الأذكاء وبذلك ينتج ضعف الأخلاق والعقل في المجتمع وذلك لأن ضعاف العقول يأتون بالجرائم والمقاسد أكثر من غيرهم وضعيفات العقل من البنات أقرب بنات جنسهن إلى الإغواء. وقد حسبوا جميع سكان ورخوس فكان خمسهم أو ربعهم ضعاف العقول فالواجب إذن

تقوية هذه المدارك الضئيلة والمدارس التي أقيمت لغرض تقوية الضعاف في عقولهم لم تشمر
 الشجرة المطلوبة لأنه لم ينجح واحد في الحسین ممن دخلوها لأنها أنشئت على مبدأ
 مدارس أقوياء العقول أي على طريقة مدرسية صرفة لا شأن فيها للصناعات. قالت لجنة
 فإن ادعى صاحب هذا الفكر بأن هذا خطر عظیم على المجتمع أجيب بأنه كان منذ كان
 البشر ولكنه لم يكن محسوساً كما هو الآن لأن الملاحي والأديار تؤوي أمثال هؤلاء
 وكانوا من قبل مشتبين فالخطر وإن كان واقعياً إلا أنه ليس بالدرجة التي يظنها الطبيب
 المشار إليه نعم إن الأولاد كلهم يصاغون صياغة واحدة من سن السادسة إلى الثانية
 عشرة بمعنى أنهم يتعلمون القراءة والكتابة وما تعلم القراءة والكتابة بالأمر السهل كما
 يظهر بل هو من شاق الأعمال التي لا تقدرها حق قدرها فإن المستخدم إحدى المكاتب
 يعني ثلاثين كلمة في الدقيقة أي ما يعادل طول خمسة أمتار فتكون هذه الخطوط ثلاثمائة
 متر في الساعة أو ألف كيلو متر في ثلاثمائة يوم من أتم السنة وهي أيام العمل. ولأجل
 كتابة ١٣٠ كلمة يدور رأس القلم ٤٨٠ دورة في الدقيقة و٢٨٠. ٨٠٠ دورة في الساعة
 دع عنك ما يتبع ذلك من التعاريج مما لا يقل طوله كنه عن مئة ألف كيلومتر في السنة
 ولولا العادة ما سهلت الكتابة وخففت من تعب الأعصاب وهذا هو العمل الذي يقضي
 على الأولاد أن يعمنوه فهل يستغرب إذا رأينا بعضهم يتوأن بهذا العبء الثقيل وأن ما
 يطنبه الطبيب لضعاف العقول من تعينهم الصناعات هو أحق به أن يطنب لجميع
 المعلمين إذا أردنا أن يكون لهم عقل سليم فقي جسم سليم.

تربية الحس

كتب بول غوتنيه من عناء التربية في فرنسا مقالة في نقص تربية الحس في مجلة التربية جاء فيها: لا أرى في التربية أكثر إهمالاً في العادة من تربية الحس فإنه متروك وشأنه ينسب كما يشاء وعلى النحو الذي يشاء فيأخذ بالاتفاق ذات اليقين أو ذات الشك في المدرسة والأشرة وترى الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات يعنون بما في جهدهم بتلقين العنوم ولا ينتفتون إلى تربية القلب في حين أن الحس أصل القوى كلها ومبدأ كل حياة ولا أثر للذكاء والإرادة بدون عني ما أبان ذلك الفلاسفة المحدثون أمثال ريبو وفوليه وبرجسون. فالفكر الذي لا يقتبس من حرارته عار عن القوة. فيه تعرف مطويات الضمائر وعناوين الأمزجة وغاية الجهد بل هو الصورة لما في الأفراد من مزايا الإبداع. قال روسكين (من عناء الاجتماع الإنكليزي): إننا نشكو من قلة الحس أكثر من كثرة فقته أدت ببعض الأرواح إلى الابتذال فمن آثار قلة عادات وأعمال تخالف الإنسانية لا خوف يزعجها ولا فرح ولا شرف ولا تقوى يهزها فإذا تناقلت يد المرء في تعاطي العمل وجف قلبه وساءت عاداته وجهد فزاده يصبح مبتذلاً على قلة عواطفه وسرعة ذكائه وجودة مأتاد ومترعه فالعقل لا يعرف غير الحق فهو الإنسانية الربانية تستحكم من القنوب فتدرك الإلهيات وصاخ الأعمال.

فالحس يقرب بين الشخصيات ويسيطر على العواطف فيجمع الناس في أفراحهم ويشكرهم بعضهم مع بعض في أتراحهم بل هو السلسلة التي تربط كلاً منا بالعالم كله فهو الموزع الجوهرى بين الشخصيات. والأفكار والأعمال نتيجة لازمة عنه وهو كذلك الصلات بين الأفكار. إذا نقص فلا شيء يحدو نحو الكمال بل أن الكمال يفقد حذته ويحجب معين العنم والصناعات والفضائل ويتعذر العنر وتفقد العشرة وتحل ربط

الاجتماع فلا إحساس ولا شفقة. إذا فقد الحس تضعف الإرادة ويبقى العلم ظلاً زائلاً ويفنى الذكاء. ولطالما رأينا عتاء وهم مغفلون لو استقرت أحوالهم تجد لا فرق بينهم وبين حمر الخلائق لأن العلم لم يرق فيه الحس الرقيق الذي يمكنهم من معرفة ما لا يقع مباشرة تحت حواسهم وهو قلنا يتعلم كتاب فالحس من ثم هو الحد الفاصل بين أن يجعل الرجل في كبار الرجال أو في طبقة ضعاف المغفلين.

وإذا حيد باستعداد الطفل عن الجادة منذ صغره لا يلبث أن يكون استعدادده مبعث كثير من المفسد وأصل جم من الخطايا يرسل بأحسن ما فيه عن مائة إلى الأغصان الشرهة الطفيلية فتھولك الأغصان النافعة وتقوى دواعي الهوى والتهوات فقد قال بول بورجيه: تكاد تكون معظم الأمراض العصبية ناشئة من اضطراب العشق ومبدأ كل هذا الاضطراب من رداءة التدبير الصحي الأخلاقي زمان البلوغ فمن الحس تنشأ المطالب العالية والمطالب الدنيئة وهذه القوة أو هذا الأساس في كل قوة سواء كان في الخير أو في الشر ينبغي أن لا يترك وشأنه في الولد على حين هو لدن رخيص إلى الغاية فإذا هب على ما يجب يكون منه أبطال وقديسون وإلا فلا أقل من أهل حشنة ووقار.

وأكثر ما يكون مربياً للحس بيت العائلة والتربية الأصلية هي التي تجعل الولد على استقامة لا ينالها من تربية أخرى وفي حب الوالدة ولدها معنى من معاني الظرف تصحب المرء إلى قبره ولكم كانت عناية الأم أكبر مخرج للرجل الأعظم حتى قالت العقيلة نيكرو دي سوسور إن الحنان هو الحرارة الضرورية لتسمية الجرائم السعيدة.

والمدارس الداخلية مضرّة وهي لصغار السن جريمة ويتضرر البنات ومن سيصبح ملائكة البيت بدخولهن المدارس الداخلية إذ يتعدن عن الأسرة بل عن العالم ويفطم الولد من الحب ولا يعرف غير جفاء النظام والعذاب والخرد وقلة مبالاة الإدارة بأمره.

يتعذب وما من أحد يعنى به عناية حقيقية أو يعرف ذوقه وميوله ولا يجد حوله من يوح إليه بذات نفسه فهو وحيد محروم من الهواء وإحساسه يذبل إذا لم نقل يفسد ولذلك كانت المدارس الداخلية في فرنسا لا تخلو من مقاصد تنحق الأخلاق. وقد انتبه الإنكليز لذلك فلم يعودوا يرسلون بناتهم إلى المدارس الداخلية بل يجعنوهن في بيوت معلقاتهن على أخلاقهن وينجون من إدارة تسير على هواها كإدارة الحبس فأفضل اختيار البيت لتربية الأولاد فيه فليس كالأسرة التي يخرجنا منها وازع يحف طفولتنا بعنايته ويعلمنا الظرف والنطف والطهارة التي كتب فيها رينان الفيلسوف يقول: أئتم يتعلم الطفل أو الفتى الطهر وصفاء السريرة النذين هما أساس كل أدب راسخ ويدرك زهرة العواطف التي تكون ذات

يوم بهجة للنساء ودقة الفكر التي هي ذات أشكال لا تدرك بالتصور؟ أتعلمها في الكتب وفي الدروس التي تنقى على مسامعهم فيصفي إليها أو في رسائل يستظهرها؟ كلا إنه لا تعلمها في شيء من ذلك بل يتعلم في الهواء الذي يعيش فيه واخيط الاجتماعي الذي يصير إليه تعلمها بحياته في أسرته ليس إلا.

فالحنان الآخذ بعنان الأسرة بما فيه من الالتئام والحب هو الذي يربي حسن الطفل من نفسه بعيداً عن قلة الاهتمام والعدوى والحسد بعيداً منذ نعومة أظفاره عما يعيث به. ويجب أن لا يدفع الأولاد للخدمات فإنهم يفسدوهم بضعف عقولهم وقلة

عنايتهم حتى أن ولداً في الثالثة عشرة أصبح أبله بصنع خادمة ارادت تمكيته فوضعت في غرفة وأقفلت عليه الباب بضع دقائق حتى إذا فتحت الغرفة وجدته متخسباً وقد عوج الولد فشفي إلا أنه بقي أبله طوال حياته. فصح فينا ما قاله بنوتارك في القديم: من الغريب أننا نرى الواحد منا يستخدم خادماً له في حرث أرضه وآخر لتنظيم داره وغيره لإدارة نفقته فإذا كان له خادم مكير لا يستطيع عملاً يعهد إليه بتربية ولده ونحن كم عندنا من معلم ومعلمة خافهم الدهر فعدوا إلى اتخاذ التعليم حرفة وهم ليسوا على شيء من الأخلاق التي تطلب منهم لتربية خلق المعلم فيرث الأولاد عنهم نقائصهم وأحياناً مفاسدهم بل يقتبسون دناءة النفس فيجردون عن المطالب العالية النضيحة قبل أن يبلغوا السن اللازمة.

ولذلك وجب على الوالدين أم لا يتخنوا لأحد عن ملاحظة أولادهم ففي الطفولية يتولون ذلك بأنفسهم وأثناء الدراسة يشرفون إشرافاً عليهم ولا يدفعونهم إلا لمعلمين أكفاء على أن دلال الولد وملاطفته على الدوام قلنا تشي رجالاً أو نساء أحرىاء بالاعتبار لأن رخاوة الحبس على هذه الصورة تبعد بالولد عن تحمل المكارة والإفراط بالعناية به تعدد إلى أن لا يتوقع إلا الدلال فالشاب يتطلب من الزوجة رفيقة لا أمّاً والشابة تنتظر أن تكون لعبة لا منكاً. وهذه العيوب تلحق الولد الوحيد في الغالب لأن والديه يبالغان في دلاله.

وأضر ما يكون على طفل الإغراق في قضاء رغائبه وإعطائه من اللعب ما لا تشتد حاجته إليه بل أن يكون من شأنه أن يعود على الإسراف والبدخ وخير من ذلك أن يعود الولد الحرمان والتقصير لأن الشدة القليلة في التربية تدعو المربي إلى الشجاعة.

وعرف الإسبارطيون ذلك حق المعرفة وهذا هو السبب في أن الإنكليز مازالوا محافظين على

أنواع الرياضات العنيفة وضرب السياط في المدرسة. لا جرم أن ذلك يمنع رقة القلب الكاذبة ويعد من التأنث مما هو من العيوب حتى في النساء.

وينبغي أن لا نكتم شيئاً عن الأولاد يطنبون السؤال عنه وإذا كان ثمة ما لا يسوغ لهم إبداءه نعلمهم بأن نصح عنه بعد حين فالجهل فيها ليس من الخير في شيء لأنهم الجهل خطر كل حين وقد كتب المسير نيكولاي يقول: إن الأخلاق عبارة عن تعلم مجاهدة الشر لا أن يعقد الأمل الخيالي بأن يكبر الولد في سداجة تامة في حين هو يعيش في العواء الفاسد الذي نستشقه.

فالتربية الحس القوي الذي يقاوم الصدمات يجب أن نجعلها تمس الحياة عند بداءة ظهورها والمدرسة مفيدة في هذا الباب لأن الأخلاق تتحاك فيها ولا بأس بأن يغادر الولد البيت ويسبح في الخارج فإن ذلك مما يقوي فيه الإرادة ويشد عزمه على العيش في لهواء الطلق في هذه الحياة.

يجب أن يكون للحس نظام فقد كان عناء التربية حتى الآن يعتبرون الصناعات واسطة لتسلية لا نتيجة لها أو ألعيب الصبيان وهي في الحقيقة أحسن تعويذة لأن في مكتها أن تجعل أبداً في الإحساس مساوقة ونظاماً وتحيله إلى أجب غض إذا صح أن الاعتدال هو القصد لا في المأكل والمشرب بل في الفكر والعواطف هو أساس كل فضيلة فقد قال روسكين: إن معرفة الجميل هو الطريق الحقيقي بل هو الدرجة الأولى لمعرفة حقيقة

الأشياء الجمينة فإن الحياة والسرور بالجمال في عالم المادة هما من القسم الدائمة المقدسة في أعمال الخالق كما الفضيلة في عالم الأفكار.

فمن الواجب كل الوجوب أن يجعل شعور الطفل منذ نعومة أظفاره يحتك بالجمال بوجه عام والفنون بوجه خاص وذلك لا في كتب يدرسها بل فيما يحيط به يحف حوله وأن يوقى النظر إلى البشع كما يوقى النظر إلى ما يتنافى الأدب.

يجب ألا ينشأ الطفل ويتطعم حوائيه إلا ويمجد الجمال في المسكن والجمال في المناظر فمن سيئات المدن الحديث إن حرم أبناءه المكى في بيوت وسط الغابات والأشجار وجعل مساكنهم متصلة بعضها ببعض بحيث لا تفتح النافذة إلا لترى واجهة البناء المخاذي لك ولا يفتح الطفل عينيه إلا ما على هو منحط وبشع على حين يسهل أن نزين مكانا فليس الجمال هو البذخ بل إن النظافة النظام المدقق وانتقاء الأثاث والزهور وبعض النفائس والأعلاق في البيت تكفي في حمل الجمال إلى مسكننا ولأن تفتح حياتنا اليومية على الدوام بآناً يطل على عالم الخيال. والواجب أن يعنى بلباس الطفل على ما ينبغي على أسلوب لا ينافي الاقتصاد ولا الظرف. نحن لا نقول كما يقول الفيلسوف كارلايل أن الناس يوجد النفس الإنسانية بل نقول بأنه يرتبها وينظمها. وعليه فالأحسن أن ينظر أيضاً في اختيار اللعب للطفل حتى لا يكون ممن تغرز له النفس والأولى أن يعهد بصنع ألعاب الأطفال إلى أناس من أرباب الذوق والتفنن على ما كانت عليه الحال في القرن السابع عشر والثامن عشر. ويجب ألا تحرم المدرسة من مظاهر الجمال لأن الطفل يقضي فيها شطراً مهماً من أوقاته وغذ كان معظم الوالدين لا يستطيعون أن يجعلوا لأولادهم بيوتاً في الخلاء فالأجدر بالمدراس الثانوية أن تقيم مدارسها في الضواحي ليتيسر للأولاد

أن يعودوا في المساء ليسيروا في دور آبائهم. فقد كتب روسو أن البشر لم يخلقوا ليتجمعوا كما يتجمع النمل في القرية بل لمنتشروا في الأرض التي يحرثونها فنفس الإنسان قتال لإخوانه. وهذه الحقيقة لا مجاز والمدن هوة الجنس البشري فعندك أن تبعث بالأولاد يجددون حياقتهم بأنفسهم وينشطون قواهم وسط الحقول ويستعضون عن تلك القوى التي يضيعونها في الهواء القذر من الأماكن المأهولة كثيراً.

وهكذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية في القرى والمدن في أماكن يتخللها الهواء والنور وأن يستعاض عن الدهان التي تطل بها جدران المدارس بالسواد عادة بألوان زاهية تزيل الوحشة عن قلب الطفل فيستفيد من ذلك عقده وقننه. وأحر بأن تكون جدران المدرسة مزينة بجميع نفيسة ومفروشة حجرها أحسن فرش بحيث يكون الجمال عن إيمان الطفل وشماله وقدامه ووراءه ومن أجل هذا اختار بعض علماء التربية أن يربي الأطفال في حدائق خاصة بهم لينشئوا على التأمل في الكون والنظر في أسرارهِ وبدائعهِ فالسماة تتعم بالنظر فيها ولكنها لا تقيدنا بقدر ما نتعلم من الصغر والتأمل في عظمتها.

يقتضي أن يطلع الطفل منذ صغره على إبداع ما نقشه النقاشون وصاغه الصانفون وبناء البناءون وأن نتعد عن تدريسهِ تاريخ الصناعة لأنهم لا يفهم منه شيئاً فيدخل المنزل إلى قلبه بل الأولى أن نشرح له الجمال فقط ونشعره بوجوده. فعلم الطفل أن يكون هو متفتناً أن يكون كما قال روسكين أكثر خجلاً إذا لم يحسن الغناء مما إذا كان لا يعرف القراءة والكتابة لأنه من الممكن كل الإمكان أن يعيش المرء عيشة سعيدة بطريقة بدون كتب ولا حبر ولكن قلباً يتأني أن لا تميل النفس إلى الغناء إذا كان في يوم سعدة. ولقد رأى اليونان هذا الرأي فكانوا يزعمون بأن تعليم الطفل الغناء يمدونه طول حياته بزيادة

ثمين من الحكمة والسرور دع عنك أن الغناء بالاشتراك مع الأصحاب هو أكد الطرق إلى تعنم التضامن. ثمك أنه من النافع تعويد الطفل أن يرسم بقلم الرصاص أو المنقش الأشكال والألوان الطبيعية فيتعنم بها الممارسة اللازمة لنصاعات النفيسة ويعتاد النظام والتدقيق الذي يقود عواطفه بالطبع إلى التسقي والتذوق فإذا ربي الحس على هذا الطرز يستعد لتخلق بالفضائل بتقوية الإرادة وبدونها لا يتأتى قيام شيء في عالم الفضيلة لأن الإرادة لا توجد الميول والرجائب تتخير منها وهذا الميل ناشئ مثل كثير من الميول عن الحس الذي يعمل كل العمل فمن اللازم اللازب تقوية ميول الطفل الحسنة بتثقيف إرادته بدون أن يشعر.

القدوة هي المربية في هذا الباب فهي تسلط على الرجال فما أجدرها أن تكون كذلك للأولاد يسيرون في أعمالهم بسيرتها وينهجون على الدهر فحجها فقد ذكروا أن فتاة أخذت في الشهر الخامس عشر من عمرها تقند أباها في تقطيب حاجبه وتعتاد عادته في الغضب ولحجته في رفع صوته ثم تعلمت ألفاه في قللة الصبر والغضب وهكذا أصبحت تردد أفعال أبيها كلها بعد السنة الثالثة. وقانون القدوة الذي هو عمل من أعمال الاقتداء واخيط يعمل عمله في الحس كما يعمل في الذكاء فقد قال مونتسكيو: من العادة أن يعنم الأب أولاده ما يعنم كما أن من العادة أن يورثهم شهواته.

ولذا كان على الوالدين أن يراقبوا أنفسهم في كل ما يصدر عنهما بين أسرقتهما وأمام أولادهما ويتعدا عن كل ما شأنه أن يحدث في الولد تأثيراً سيئاً فيلا الأفعال والأقوال ونرى الناس لا يبالون أن يأتوا أمام الطفل ما يفسد أفعاله ومقاله ويعلمه الفاسد كلها قبل أن يعرف ماهيتها. فالغضب وكنسات الكبر والعجب والندات الشهوانية والوقعة

والكذب تعرض كل يوم أمام عيني الطفل وأذنيه فشوه حسه وتفسد نفسه ويعتذر الأبوان بأن ابنهما لا يأتيان أمامه وهو يدرك العيوب التي تمثل أمامه على هذه الصورة ويتوهم بأن الواجب يقضي بذلك ويوشك أن يسوء نظره على الدهر.

ويا سعد من لم يره أبواه لأنه في الأكثر يدللانه دلالاً يفسده فلا ينتهرانه لتربية نفسه خوفاً من بكائه أو أن يفقدوا ابتسامته مؤقتة فسوء تربية الطفل والطفلة بصنع أبويهما وإنالتهما كل رغائبهما وماذا يظنه الولد في نفسه متى رأى حواليه أناساً على أهبة تامة لسماع ما يقوله والإعجاب به وتدلينه واستحسان كل ما يصدر من فمه أو يصفقون تصفيق السرور لكل ما يقوله مما يخالف الأدب. فلو كان رجلاً لما وسع عقله كل هذا التصفيق والاستحسان فمنا بالكبح به وهو طفل.

ومن النساء من يسرون على عكس هذه الخطة فيناكدون الطفل في أقواله وأفعاله ويفضونه في عامة أحواله ويعلمونه الحسد بما يصحونه معه من ضروب التهديد الشديد الدائم الذي يروقههم تكراره وهذا من مفاصد التربية أيضاً.

فعلى الوالدين أن يباعدوا عن الطفل ما يرتكبه من المصريات في تربيته فلا يشتدان عليه ولا يرغيان له العنان بل تكون تربيتهما إلى القصد فلا يمنعانه من لذائذه بكل ما يطنب ويحييانه من رغائبه إلى كل ما يشتهي فقد قيل من يحب كثيراً يعاقب كثيراً فتأنيب الطفل من أهم فروض الوالدين وأكبر مظهر من مظاهر عنايتهما. والأولاد كالأمم يعززون الصرامة ولا يحبون إلا ما يحترمون. كل هذا بدون أن يخلو ساعة من سرور ابنهما حتى يعيش ويكون تجنيه سروراً طوال حياته.

قننا أن الوالدين ينبغي أن يكونا خير قدوة لابنهما فهو لا يتأثر بالفضيلة إلا إذا رآها بالفعل ماثلة أمامه منذ نعومة أظفاره وكم من الناس لا يتطالون إلى هذه الغاية لأنهم عاشوا في وسط غير متمدد ومنهم من يحفظون حطة نفس ينم عليها تبذل أخلاقهم ومعلوم أن لهذه تأثير في القنب وهكذا الحال في كل الفضائل فإذا شاهدنا الطفل اليوم بعد الآخر يتشرها وتطمح نفسه إلى أن يأتيها بذاته. فمن أبوين حريين ينشأ طفل مخلص ومن أب محتشم يكون الولد عفيفاً ومن أسرة طاهرة يخلق الولد تقياً نقياً. فالعدوى في هذا الباب أشد فعلاً في الطفل من قانون الوراثة وإن للحركات والسكنات أفعلاً في خلقه الطفل وخلقه ولذلك وجب أن تصدر عن النفس دائمة لا مقطعة.

وكما يقضى على الأبوين أن يكونا خير قدوة لابنهما يجب عليهما أن يبذرا في نفسه البذور الصالحة وذلك بأن ينميا فيه حب الذات أو الإعجاب بأحسن ما فيه فليس أحسن في التربية من أن يشعر المربي من نفسه بحجل عما أتاه فليس الأولى البعد عن مكافحة حب الذات بل المناسب تنسيته على النحو اللائق وتسييره إلى وجه الكمال فمن دواعي التربية وضع الثقة في نفس من تربيته فالأديان تدعو منتحليها إلى الإيمان فمن الضروري كما يقول بعض علماء الأخلاق أن يؤمن المرء بقوته الخاصة بمعزل عن معونة خارجية فأقل شك يطرأ علينا يتلينا بالعقم وينضب مادتنا ويحول دون انبجاس إرادتنا القوية.

وكما تحافظ على حرمة الولد عليك أن تربيته على حرمة غيره وأن تعرفه ما بأن تضرب على العرق الحساس فيه إذا أحببت أن تلقنه معنى الإحساس فأعرض عليه مصائب الناس وقارها بما يشعر به من هذا القليل. وبغلط الوالدان اللذان يخفيان عن ابنهما شقاءهما

كأنه رذيلة من الرذائل مع أن الفقر أحسن مدرسة لتعليم الطفل الذي ولد في الرفاهية حتى لا يعتبرها بأنها واجبة أو مضمونة وتنبه فيه الشعور بالشفقة. فمن النافع أن يعرف منذ طفولته أن من الناس من خافهم سوء الطالع ليعتاد التحنن عليهم والإسراع إلى إغاثتهم.

وتحتاج في تربية الحس ليأتي بثمرات جنية إلى أن توقد جذوته بالتحسيس ليعمل الأعمال العظيمة فالواجب أن يلحق الطفل بين العاشرة والحادية عشرة من سنة الولوع بغاية سامية أرقى مما يقع تحت نظره كل يوم وبذلك تتغذى روحه ويتفتح بما لديه من القوى والمواد. وخير ما ينفع في هذا الشأن النظر في أنواع التعليم كالعلوم وتاريخ الفنون والآداب فالتعليم أعظم مهناز يربي ميول الطفل ويعدده لأن يكون من كبار الرجال ويربأ به عن الانغماس في حمأة المصالح المتدلة. فالتعليم لا يقوم بوظيفته إذا لم يكن فيه ما يوسع معارفنا بل يوقد شعلتها بتوجيهها نحو الحق والجمال والخير وأساس ذلك التحسس في الإنسان.

ولا يكفي في تاريخ تعلم الصناعات والآداب بعرضها وتحليلها بل الواجب أن يعرضها الطفل في النوحات وإليها كل المصانع والشعر والقصص والخطب فهي لا تأخذ مكاناً من قلبه ويتحسس بها إلا بذلك. يعرض عليه ذلك بالعمل ويشرحه للمعلم فالتعليم الأدبي والصناعي مهما بلغ من غنائه لا يتيسر تلقينه بدون قطع تشرح السر فيه كالشرح لا يستفيد منه المتعلم إذا لم يكن أمامه جثة. فعلياً أن نتعد عن التحليلات التي لا مستند لها من الحقيقة لأنها بقطع النظر عما فيها من الضرر اللاحق بالذهن تعود المرء على العمل بالفارغ وهي خالية من تأثير في الحس فمن واجب الأستاذ أن يطنع تلميذه على مقاصد

المؤلفين ويشرح لهم عواطفهم على صورة تمثل فيها الحياة والشعور وتبعث في روحه احتذاء مثالهم وبذلك لا يكون من تعليم الفنون والآداب فتح السبل التي يفيض منها حس المتعلم بل إن حسه إذا تجمع على هذا النحو تزيد قوته وصفاءه وتبع منه ينابيع لا تجف طوال الحياة.

يقول بعضهم أن التربية العنيفة الصرفة تجعل الذوق قاحلاً ولطكن ربما كان العلم يتطلب قوة في التحمس كما تتطلب الفنون والآداب من الصانع وال كاتب فالبحث عن الحقيقة يستدعي إخلاصاً شديداً كالنظر في الجمال. والمرء كما يقول باسكال أقل سكرًا باتحصال تركيب الطبيعة وما فيه من اللانهاية منه في إيجاد شيء من تصوره. فالذين يصرفون حياتهم في البحث ليسوا أقل قوة ممن يخترعون أفكاراً من نفوسهم.

قال كنود برنارد: إن الرغبة الشديدة في المعرفة هي الباعث الوحيد الذي يجذب الباحث ويعضده في أعماله وهذه المعرفة هي التي يمسكها فتقر أمامه على الدوام وتكون في الوقت نفسه عذابه الوحيد وسعادته الوحيدة فمن لا يعرف كيف يقاسي المرء العذاب من أجل الحصول على مجهول لا يعرف الأفراح التي تصيبه عند اكتشاف الجديد وهي أفراح لا يدانيها شيء في العالم للحقيقة كما للجمال بهاء وجلال ولذلك كم فائدة تكون للنحس ولارتقاء العلوم في المستقبل أن يكشف عنها القناع أمام أعين من يعذبهم إلا أنه يجب لإشراك التلامذة في البحث أن تكرر لهم تلك الحقائق ويطلب منهم أن يبحثوا بأنفسهم وأن يوفر لهم قسطهم من السرور باكتشافها فيطعنون على مقدمات العلوم والاكتشافات العظيمة ويشوقهم إلى احتذاء مثال من جامدوا جهاد الأبطال أمام قوى الطبيعة حتى تظنوا أسرارها فإذا همى وطيس البحث ينشأ فيهم حب الغاية المنشودة كما

أن من يبدأ باللعب ويكون ضعيفاً لأول أمره لا يثبت أن تبعث له همة ويزيد لبثوغ
الغاية غرامه. وهذا يستدعي لتعليم الآداب أن يجعل التثديع مع اتصال بالحقيقة والطبيعة
التي هي ميدان درس العالم بدلاً من حصره في مآزق تبعث نفسه على القس والتأفف في
حين كان يجب أن تذكي فيها شعلة حب العلم فقد قال الفيلسوف رنان: إننا نشبه
بالقديسين والأبطال وكبار الرجال في كل عصر وجيل أهل الأخلاق العنيفة الذين وقفوا
أنفسهم خاصة للبحث عن الحقيقة غير مباليين بالمثل بل ربما فاحروا بفقرهم وبسنوا لما
يقدم إليهم من التكريم وتساوى في نظرهم المدح والقدح وهم على ثقة فيما يعملون
سعداء لأن لهم الحقيقة ولا سبيل إلى نشر ما تعبت به عقول نوابغ الأرض في العلم
والآداب والصناعات إلا على أيدي أساتذة جهابذة وبغير ذلك لا يرتقي الحس.

والتعليم الديني نافع جداً في تربية الحس فقد قال جبرائيل كومايري: باعد عن الجنس
البشري الاعتقاد بعالم أخروي أرقى مما هو فيه فإنك تسلبه بطبيعة الحال جزءاً من القوى
اللازمة لتخلق بالفضيلة فإذا لم يكن هذا العالم إلا خلأً واسعاً يضع فيه صوت الإنسانية
في الفراغ بدون أدنى قوة عامنة تضمن لتعدل نصرة أبدية فالإنسانية معرضة للسقوط في
حياة سافلة لاستهوائها وافتانها بالمفاسد وما يتسرب إليها من مغريات الملاذ المادية
وسواء علم الناس التعليم الديني أو لم يعنوه فمن الثابت أن الخرافات تقوى بضعف
الأديان ولقمة العناية يفسد الدين ولكنه لا يضره فالتواجب تلقين الطفل لباب الدين لا
الحشو ولا النغور لشب على المعقول والتثبت بأذيال الجوهر بعيداً عن التعصب وصغر
العقل فقد قال فكتور هوغو: إن ما يخفف الألم ويفرس التقوى والقوة والعقل والصبر

والطهر والحرية في الإنسان هو أن ينظر عنى الدوام عنى عالم أحسن مما هو فيه ينسج من خلال ظلمات هذه الحياة.